الآيات من 116 - 118

افتراءات أهل الكتاب والمشركين بنسبة الولد لله والمطالبة بتكليمه النّاس

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُون ﴿١١٨﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

مناسبة وسبب نزول الآية (١١٦): دلّت الآيات السّابقة على زعم اليهود أنّ الجنّة خاصّة بهم، فنزلت الآية (١١٦) في اليهود الّذين قالوا: عزير ابن الله، وفي نصارى نجران الّذين قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب الّذين قالوا: الملائكة بنات الله، فسبحانه نزّه وعظّم نفسه، وأكذبهم جميعًا بالدّليل القاطع[1].

وأمّا سبب نزول الآية (١١٨): عن ابن عبّاس رضي الله عنهما، قال: قال رافع بن خزيمة لرسول الله ﷺ: إن كنت رسولًا من الله كما تقول، فقل لله ﷻ فليكلّمنا حتّى نسمع كلامه، فأنزل الله في ذلك: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ الآية، وقال آخرون: بل عنى بذلك مشركي العرب[2].

المعنى العام

﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون ﴿١١٧﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ وقالت اليهود والنّصارى والمشركون: اتّخذ الله ولدًا تعالى الله عن قولهم وتنزّه عن ذلك، لأنّه يقتضي الجنسيّة والمشابهة والاحتياج، والحقّ منزّه عن ذلك. ﴿بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ بل كلّ ما استقرّ في السّموات السّبع والأرضين السّبع ملكه وعبيده، فكيف يكون العبد ولدًا لمالكه؟ ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُون﴾ وكلّ ما ظهر في الوجود خاضع ومطيع لله، وعابد له، ومقهور تحت حكمه ومشيئته.

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ فكلّ ما دخل عالم التّكوين، فهو مُبدَع ومُخترَع لله، ومصنوع من مصنوعات الله، فلا يصحّ أن يكون ولدًا، لأنّ الولد يحتاج إلى صاحبة ومعالجة ومهلة، والحقّ تعالى أمره بين الكاف والنّون، بل أسرع من لحظ العيون، ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا﴾ أي أراده، ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون﴾ ولا يتوقف على لفظة كن، وإنّما هو كناية عن سرعة الاقتدار. والولد إنّما يكون متولّدًا من شيئين متناسبين، وهو تبارك وتعالى ليس له نظير، ولا مشارك له في عظمته وكبريائه، ولا صاحبة له، فكيف يكون له ولد؟ قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا* تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا* أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا* وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا* إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾[4].

(١) انظر، البغويّ في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ١١٦، ج١، ص١٥٨.
(٢) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن ابن عبّاس، باب: اختلف أهل التأويل فيمن عنى الله بقوله ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا الله﴾، ج٢، ٤٧٤.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.
(٤) سورة مريم، الآيات: ٨٨-٩٥.

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[1] فقرر تعالى في هذه الآيات الكريمة، أنّه السّيّد العظيم الذي لا نظير له، ولا شبيه له، وأنّ جميع الأشياء مخلوقة له سبحانه، مربوبة؛ فكيف يكون له منها ولد؟!

وقيل في ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ أي مُقِرُّون له بالعبوديّة والإخلاص، مطيعون يوم القيامة. و«القنوتُ» الطّاعة والسّجود والاستكانةُ إلى الله، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُم بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[2] ومنه دعاء القنوت.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي لا علم عندهم من اليهود ونصارى نجران ومشركي العرب ﴿لَوْلا يُكَلِّمُنَا اللهُ﴾ يخاطبنا بنبوّتك يا محمّد، حتّى نسمع منه أنّك رسوله، ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ ظاهرة، نراها جهرة تدلّ على رسالتك، كما كانت لموسى عليه السلام ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ هذه المقالة التي صدرت من اليهود، تعنّتًا وعنادًا، قد صدرت ممّن قبلهم من أسلافهم، فقالوا: ﴿أَرِنَا اللهَ جَهْرَةً﴾[3]، ومن النّصارى فقالوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾[4]، ومن المشركين الّذين قالوا: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا* أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا﴾[5] ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ لقد تماثلت قلوبهم في الكفر والعناد، وتشابهت في العتوّ والفساد، ﴿قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ قد أوضحنا لك الآيات البيّنات، التي تحقّق رسالتك وتقرّر اصطفاءك، لمن طلب مزيد الإيقان، وكشف البيان على نعت العيان، فأعظمها القرآن، ثمّ ما أوضحته شرائع الأحكام، ثمّ ما أخبرت به من الغيوب، ونطق الجمادات والأحجار، كحنين الجذع وانقياد الأشجار، وتسبيح الحصى، وتسليم الحجر، وقد نبع الماء من بين أصابعه وانهمر، إلى ما لا يُعدّ ولا يُحصى[6].

(١) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤.
(٢) سورة الرعد، الآية: ١٥.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٥٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٢.
(٥) سورة الإسراء، الآية: ٩٠-٩١.
(٦) ذكره ابن عجيبة في البحر المديد، باب: سورة البقرة، الآيتان: ١١٨- ١١٩، ج١، ص١٥٩.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. حُرمَة نسبة أيّ شيء إلى الله تعالى لم ينسبه لذاته، إذ أنكر تعالى على أهل الكتاب والمشركين نسبة الولد إليه.

٢. حُرمَة أن يصف أحد الله تعالى بما لم يصف به نفسه، فأسماء الله تعالى وصفاته توقيفيّة.

٣. اعلم أنّ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[١] فهو سبحانه لا يشبه خلقه في شيء، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصارَ﴾[٢]

٤. لا أحد يحيط بالله تعالى علمًا.

٥. الله تعالى بديع، أي خلق خلقه لا على مثال سبق، فهم لا يشبهونه وهو ﷻ لا يشبههم.

٦. تشابه قلوب أهل الباطل في كلّ زمان ومكان، لاستجابتهم للشّيطان وطاعتهم له.

٧. لا ينتفع بالآيات إلا أهل اليقين، لصحّة عقولهم وسلامة قلوبهم.

٨. البديع عند العلماء مُوجِد العين لا على مِثْل، وعند العارفين: الذي ليس له شيء مِثله. فهذا الاسم يشير إلى نفي المثل عن ذاته، ونفي المثال عن أفعاله، فهو الأحد الذي لا عدد يجمعه، والصّمد الذي لا أَمَدَ يقطعه، والحقّ الذي لا وهم يصوِّره، والموجود الذي لا فهم يقدره. وإذا قضى أمرًا فلا يعارض عليه مقدور، ولا ينفكُّ من حكمه محظور.

سبب نزول سورة الإخلاص

جاء بعض المشركين أو الكافرين إلى النّبيّ ﷺ، فقالوا له: يا محمَّد صِفْ لنا ربَّك الّذي تدعونا إليه، وانسبْه. نحن نعرف فلانَ ابن فُلَانٍ ابن فَلانٍ، فَربُّكَ الّذي تَدعُونَا إلَيه ما وَصْفُهُ؟ وما نَسَبُهُ؟

فنزلَ جبريلُ عليه السلام بسورةِ الإخْلاصِ، وقالَ لسيّدنا مُحَمَّد ﷺ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ* اللهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣].

س أين اللّه؟

ج الله تعالى لا يحتاج إلى مكان يكون فيه، لأنّ الله هو الّذي خلق المكان، وكان الله تعالى موجودًا ولم يكن مكان، ولا سماء، ولا أرض، ولا عرش. ثمّ خلق الله الخَلْقَ، ومن جملة ما خلق، خلقَ السَّماء، وخلقَ الأرضَ، وخلقَ العرش، وخلقَ المكان.

والله باقٍ على ما عليه كان، لا يتغيَّرُ سبحانَهُ وتعالى فهو المتين أي القويّ الثّابت الّذي لا يتغيّر، ولا يحتاجُ إلى أَحَدٍ أوْ إلى شيءٍ من خَلْقِه، فالسّماء والمكان والعرش كلّها مخلوقاتٌ لله تعالى لا يحتاج إليها، على عكس جميع المخلوقاتُ التي تحتاج إلى مكان.

(١) سورة الشورى، الآية: ١١. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٣. (٣) سورة الإخلاص، الآيات: ١-٤.

إشكال قد يطرحه البعض:

قد يقال: لا أستطيع أن أتخيَّل كيف لا يحتاج الله ﷻ إلى مكان!

الرّد على ذلك بسيط جدًّا، لأنّ الله تعالى لا يمكن أن يُتخيَّل أصلًا، ذلك أنّ الصُّورة تتولَّد عادة في ذهنك، والله تعالى ليس له صورة لتتولَّد في ذهنك. وهذا معنى من معاني قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ فهو لم يلد ولم يولد لذا لا تتولّد له صورة في الذّهن. فكلُّ ما خَطَر ببالك فالله بِخِلافِ ذلك، بل هو أعْظَمُ من ذلك.

س لماذا لا يمكن لأحد أن يَتخيَّل الله تعالى؟

ج الإنسان لا يستطيع أن يتخيَّلَ إلَّا شيئًا رآه، أو شيئًا مركَّبًا من شيءٍ رآه، والله تعالى لا يُشْبِهُ شيئًا من خَلقِهِ، فلا يمكن أن تتخيّله.

كلّ مخلوق من مخلوقات الله تعالى له مكان ويأخذ حيّزًا، أمّا الله فهو خالق المكان، لا يحتاج إلى مكان، وليس في جهة من الجهات، لا هو فوق، ولا هو تحت، ولا هو عن اليمين، ولا عن اليسار... فالله تعالى أعظم وأكبر من أن يَتَصَوَّرَهُ أو يَتَخَيَّلَهُ مخلوق، لذلك مهما خَطَر للإنسان من خيالٍ لذات الله، فالله بخلاف ذلك.

فإذا ما خطر ببالك شيءٌ من وساوس وكيد الشّيطان، فعلاج ذلك أن تَسْتَعِيذَ بالله من الشّيطانِ الرّجيم وتقولُ: **"آمَنْتُ بالله العظيم"** وتَصْرِفَ ذِهْنَكَ عن هذا التَّخَيُّلِ والتَّصَوُّرِ.

فالله تعالى خالق الأجسام وخالق الجهات، ولكنَّه تعالى ليس في جهة من الجهات وليس بجسم من الأجسام.

إنّ الله تعالى لا يُشْبِهُنَا، ولَيْسَ جِسْمًا، ولا يأخُذُ حَيِّزًا من المكان، ولا حَيِّزًا من فراغ، ولا يُشبِهُ مَخلوقاتِه في شيء، فهو:

- واحدٌ في ذاتِه. - واحدٌ في صفاته. - واحدٌ في أفعاله.

إذن فهو: **"أحد"**

- المعنى الأوّل ﴿أحد﴾: **واحدٌ في ذاته:** لا شريك له، ليس معه إلهٌ آخر، وليس له وزيرٌ، ولا معين، ولا يحتاج إلى وزير، ولا إلى مُعِينٍ، ولا زَوْجَةَ له ولا وَلَد، ولا والد له ولا والدة، ولا موجود معه، بَلْ هو: "واحد أحد"

- المعنى الثّاني ﴿أحد﴾: **واحدٌ في صفاته:** أي ليس لأحد صِفَةٌ كَصِفَةِ الله ﷻ.

- فحياتُهُ تعالى ليس كَمِثْلِهَا شيءٌ. - وعِلْمُهُ تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيء.

- وإرادَتُهُ تعالى ليس كَمِثْلِها شَيءٌ. - وقدرتُهُ تعالى ليس كَمِثْلِها شَيء.

- وسَمْعُهُ تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيءٌ. - وبَصَرُهُ تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيء.

- وكَلامُهُ تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيءٌ. فهو لا يُشْبِهُ خَلْقَهُ في شَيءٍ... ليس كمثله شيء.

- المعنى الثّالث ﴿أحد﴾: **واحدٌ في أفعاله:** ليس لأفعاله مثال سابق.

- المعنى الرابع ﴿أحد﴾: **غير مركّب من أجزاء:** لأنّه لو كان مركّباً لاحتاج كلّ جزء إلى باقي الأجزاء، وهذا مُحال بحقّ الله تعالى، فهو صمد يفتقر إليه كل ما سواه وهو غنيّ عن كلّ ما عداه.

فائدة: نجد في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ أنَّ "الكاف" من أدوات التَّشبيه، و"مثل" من أدواتِ التَّشبيهِ.

س لماذا يوجد في هذه الآية أداتان للتّشبيه: "الكاف"، وكلمة: "مثله"؟

ج "الكاف" أداة تشبيه الذَّوات، و"مثل" أداة تشبيه الصِّفات.

فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، أي: لا ذاتُهُ تُشْبِهُ الذَّوَاتِ، ولا صِفاتُهُ تُشْبِهُهَا الصِّفَاتُ.

شرح معنى: ﴿لم يَلِدْ وَلَمْ يولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

- **معنى ﴿لم يلدْ﴾:**

أي لم يتولَّد عنه شيءٌ، وفي هذا ردّ على المشركين، وإبطال لاعتقادهم في أنّ الملائكةَ بَناتُ الله، وأنّ لله ابنًا والعياذ بالله، بل كُلُّهم عَبِيدُهُ ومَخْلُوقَاتُهُ.

فالله تعالى يردُّ على هذا وذاك، بقوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، أي لم يتولَّد منه شيء.

قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ عُزَيْرٌ ابن الله وَقَالَتِ النَّصارَى المَسيحُ ابن الله ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْواهِهِمْ يُضاهِئُونَ قَوْلَ الَّذينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ﴾[1]

الإجابة عَن سُؤال المشرك الّذي كانَ سَبب نُزول هذه الآيات عندما سأل النّبيّ ﷺ: صف لنا ربّك وانسبه.

س وما نسب ربّنا؟

ج ربُّنا ليس له أبٌ، وليس له بداية، وليس له خالق، فهو الموجود بلا بداية. هو الأوّل بلا بداية، وهو الآخر بلا نهاية.

ولذلك ورد النَّفي بصيغة الماضي في قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾.

أي: لم يصدر عنه ولد: لأنَّه لا يُجانسه شيءٌ يمكن أن يكون له من جنسه صاحبة، ليتوالدا لقوله تعالى: ﴿...أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ...﴾[2]

فائدة: كُلُّ شيءٍ خلقه الله في هذا الكون إمّا ذكرٌ أو أنثى، حتَّى الإلكترون، وكلٌّ يحتاج إلى بعضه البعض.

إلَّا الله تعالى فهو لا ذَكَرٌ ولا هُوَ أنثى، فَهُوَ فَرْدٌ واحِدٌ جَلَّ عَنِ التذكير والتَّأنيث، ولا يَحتاج إلى شَيء، ولا يَتَوَلَّد منه تعالى شيء، لأنَّه إذا تولَّد شيءٌ من الله تعالى فسوف يُشبهه، والله تعالى لا يشبهه شيء، لذا لم يصدر عنه ولد، إذ لا شيء يُجانسه. وهو سبحانه ليس له بداية، وليس له نهاية، ولا يفتقر إلى من يعينه أو يَخْلُفُه لاستحالة الحاجة عليه، وذلك لصَمَدانيَّته ولِغِناهُ المُطلَق. أمَّا الإنسان فيحتاج إلى أن يُنْجِبَ وَلَدًا، فإذا مَاتَ خَلَفَهُ.

- معنى ﴿ولَمْ يولَدْ﴾:

١. أي لم يتولَّد عن شيء، لاستحالة نسبة العدم إليه سابقًا ولاحقًا.

٢. وليس له أب، إذ لا بداية له، ولا خالق له، إنَّما هو الموجود بلا بداية.

- معنى ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

أي لم يكن أحَدٌ مماثلًا له، ولا مشابهًا له، من صَاحِبَةٍ، أَوْ وَلَدٍ، أَوْ غَيْرِهِ.

الخلاصة النِّهائيّة: هناك خَمْسُ صِفَاتٍ تَسْلُبُ عَنْ أَذْهَانِنَا ما لا يليقُ بالله ﷻ، وكُلُّها مَذْكُورَةٌ في مَعَاني سُورَةِ الإخْلاصِ:

١. **القِدَم:** أي إنَّ الله تعالى موجودٌ بلا بداية.

٢. **البقاء:** أي إنَّ الله تعالى باقٍ بلا نهاية، فلا يتغيَّرُ سُبْحانَهُ وتَعَالى.

٣. **القيام بالنّفس:** أي إنَّ الله سبحانه وتعالى قائمٌ بذاته، ولا يحتاج لشيء من مخلوقاته، وكُلُّ مخلوقاته بحاجة إليه على الدَّوام.

٤. **مخالفة الحوادث:** أي إنَّ الله تعالى لا يشبه شيئًا من خلقه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّميعُ البَصيرُ﴾[3].

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١. (٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

٥. **الوحدانيّة:** أي إنَّ الله تعالى واحدٌ في ذاته، وواحدٌ في صفاته، وواحدٌ في أفعاله، وأن الله واحدٌ أحد. لا يتجزّأ، ولا يتبَعَّض سبحانه وتعالى.

لذلك أنشد المحبين من مقام الحيرة، وهو المقام الّذي كلّما عرفت الله تعالى زادت حيرتك، لقوله ﷺ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾[1]

زِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ فِيكَ تَحَيُّرًا ... وَارْحَمْ حَشَى بِلَظَى هَوَاكَ تَسَعُّرًا

وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً ... فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِي لَنْ تَرَا

من أسماء الله الحسنى: البديع

شرح الاسم: البديع

مع اسم من أسماء الله تعالى **البديع**، يقول الله ﷻ: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُون ﴿١١٧﴾﴾.

- **البديع** هو الذي أبدع الخلق على غير مثال ولا اقتداء سبق، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فكلّ ما في السّماوات والأرض خلقه تعالى لا على مثال سبق. ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَيْ مُنْشِئُهَا وَمُوجِدُهَا وَمُبْدِعُهَا عَلَى غَيْرِ حَدٍّ وَلَا مِثَالٍ. وَكُلُّ مَنْ أَنْشَأَ مَا لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ قِيلَ لَهُ مُبْدِعٌ، فالله سبحانه لا يكرّر خلقه، فهو في خلقه بديع، لأنّ البديع صفة من صفات الخلق، فلا يوجد إنسان يشبه إنسان بنسبة مئة بالمئة، ولا توجد بصمة تشبه بصمة أخرى، ولا قرنيّة أو عين تشبه أخرى، لذلك فالله مبدع في خلقه ومبتكر، لم يخلق الله تعالى شيء مرتّين، بل تمايز في خلقه لأنّه سبحانه بديع.
- وَمِنْهُ أَصْحَابُ الْبِدَعِ. وَسُمِّيَتِ الْبِدْعَةُ بِدْعَةً لِأَنَّ قَائِلَهَا ابْتَدَعَهَا مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ أَوْ مَقَالِ إِمَامٍ، فهي قولٌ أو فعل لم يُسبق إليه مُحدثه.

والإنسان إذا أراد أن يُبدع في صنعة ليُقال له مُبدع، لا يكون إلّا على مثال سبق. فالطّائرة مثلًا صُنعت على شكل الطّائر، والباخرة صنعوها على شكل السّمكة، والعجلة أي الدولاب صُنع على شكل غصن الشّجرة الذي تدحرج، والحاسوب صنعوه على شكل مخّ الإنسان. إذن فالإنسان عندما أبدع أبدع ولكن على مثال سبق، أمّا الله ﷻ فأبدع الأعيان لا على مثال تقدّم ولا من أحد تعلّم، أي لا تعلّم هذا الأمر من أحد ولا تقدّم هذا في الوجود فقلّدهُ، وعكس الإبداع التّقليد.

- فالبديع إذن هو الذي لا مثل له، فالله تعالى بديع في ذاته، بديع في صفاته، وبديع في أفعاله.

أولًا: الله بديع في ذاته، أي لا مثل له، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[1].

ثانيًا: الله بديع في صفاته، ليس له صفةٌ تشبه أخرى من صفات خلقه: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾.

ثالثًا: الله بديع في أفعاله، لم يخلق شيئًا على مثالٍ سبق، قال تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[2].

س **ما العلاقة بين ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالولد لله تعالى؟**

ج العلاقة بكلّ بساطة أنّ الولد يُسمّى ولدًا لأنّه يشبه الوالد، فإن لم يشبهه ولا في صفة واحدة فلا يكون ولده.

(١) سورة الشورى، الآية: ١١. (٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠١.

فسيّدنا عيسى عليه السلام من بديع مخلوقات الله، أي خلقه تعالى لا على مثال سبق، فهو لا يشبه الله تعالى في شيء، لأنّه تعالى بديع السّماوات والأرض، ابتدعهما فخلقهما بلا مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه، أي لا تشبه الله جلّ جلاله حاشاه، ليس كمثله شيء ولا يشبهه شيء، فإنّه تعالى مُبدع لقطريّ العالم العلويّ والسّفليّ، بلا مادّة لأنّه تعالى مُنزّه عن الأفعال بالمادّة، والوالد عنصر الولد، ومُنفصل بانتقال مادّته عنه، فكيف يمكن أن يكون له ولد؟ وكيف يكون عيسى عليه السلام ولد الله؟ فالله تعالى مبدع الأشياء كلّها، فاعل على الإطلاق، منزّه عن الصّفات فلا يكون والدًا. لذلك كانت المقدّمة، وهذه النّتيجة، قال تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾، فكيف يكون لله تعالى ولد وليس هنالك مخلوق من المخلوقات بما فيها عيسى بن مريم يشبه الله في شيء، لأنّ الله خلقه لا على مثالٍ سبق.

فالله تعالى هو المُنشئ لا على مثال سبق، وهو القديم الذي لا مثال له جلّ جلاله، وقد ورد اسم الله تعالى البديع في هاتين الآيتين في كتاب الله تعالى، وإنّ البديع الذي أبدع التّصوير وأحسن التّدبير، ولم يخلق الأكوان خامدةً مملّة، بل خلقها حافلة ببدائع المصنوعات وغرائب الفنون وعجيب الحوادث، شيّقةً للمتذكّرين كثيرة الدّلالات والآيات للمتوسّمين، فسبحانه وتعالى لا نهاية لكماله ولا حد لجلاله ولا مثيل له، وذاكره يكون من أهل البصيرة والفهم.

قال بعض العارفين: لو تشابهت ورقتا زيتون، لما سُمي الله بالبديع ولما سُمي الله بالواسع، لأنّ الله واسعٌ في إبداعه، فكلّ إنسان له طريقة مشي، وكلّ إنسان له طريقة في الحديث والانفعال، مختلف بالطّباع وبأشياء لا تعدّ ولا تحصى.

الفرق بين اسم الله الخالق- البارئ- المصوّر- البديع:

- **الخالق** هو المقدّر للأشياء من العدم على مقتضى حكمته.
- **والبارئ** هو الذي خلق الخلق بريئًا من العيب، فلا شيء في خلق الله تعتريه العيوب، حتّى وإن كان في ظنّك عيبًا، فلو كُشف عنك الغطاء لرأيت أنّ ما صنعه الله بخلقه هو عين الحكمة وعين الصّواب، لأنّه تعالى عليم بخلقه. مثال المخرج في السينما الذي يجعل فلانًا يلبس ثيابًا ممزّقة ليظهر بصورة مخيفة، ذلك أنّ المقصود أن يبثّ الرّعب في النّاس، وهكذا... فالله خلق كلّ شيء، هو عين الحكمة، وهو الذي خلق الخلق بريئًا من التّفاوت والتّنافر والعبث.
- أمّا **المصوّر** فهو الذي جعل لكلّ مخلوق هيئةً وصورة كما أراد تميّزه عن غيره.
- أمّا **البديع** بمعنى المُبدِع والإبداع، فهو اختراع الشّيء لا على مثال سبق.

القضاء والقدر في اللغة:

القضاء بالمدّ: مصدر قضى، وهو في معناه اللغويّ الجامع: إتمام الشّيء قولًا كان أو فعلًا، أو إرادة أو غيرها.

فمثال القضاء في القول، قول الله تعالى ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[1] أي أتمّ سبحانه نهيه عن عبادة غيره.

ومثال القضاء في الفعل، قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾[2] أي أتمّ الله خلقهنّ في يومين.

ومثال القضاء في الإرادة، قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[3].

(١) سورة الإسراء، الآية: ٢٣. (٢) سورة فصلت، الآية: ١٢. (٣) سورة البقرة، الآية: ١١٧.

في الأمر والنّهي

النهي عن الجلوس إلى من يتكلّم بحقّ الله تعالى بما لا يليق:

قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾[1].

عن ابن عبّاس رضي الله عنهما عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: "قَالَ اللهُ: «كَذَّبَنِي ابن آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَزَعَمَ أَنِّي لا أَقْدِرُ أَنْ أُعِيدَهُ كَمَا كَانَ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ لِي وَلَدٌ، فَسُبْحَانِي أَنْ أَتَّخِذَ صَاحِبَةً أَوْ وَلَدًا»"[2] وأيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "قَالَ اللهُ: «كَذَّبَنِي ابن آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾» كُفُوًا وَكَفِيئًا وَكِفَاءً وَاحِدٌ»"[3]، وعن رسول الله ﷺ أنّه قال: «لَيْسَ أَحَدٌ، أَوْ: لَيْسَ شَيْءٌ أَصْبَرَ عَلَى أَذًى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ وَلَدًا، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ»[4].

في الأخلاق والآداب

التخلّق باسم الله تعالى البديع:

- أن تكون مبتدعًا في الأمور الكونيّة، ففي كلّ إنسان كنز اختصّه الله تعالى به، وعليه أن يبحث عنه كي يظهره الله له. فلا تكن مُقلدًا، فالنّبيّ ﷺ لم يكن يحبّ التقليد بل كان يُحبّ الإبداع باسم الله البديع، وينهى عن الابتداع في أمر الدّين، إذ كلّ خير في الاتّباع وكلّ شرّ في الابتداع.
- باكتساب طرق الحكمة، وهي التّخلّق بالفضائل، وتجنّب الرّذائل.

في السّيرة والشّمائل

رعاية الإبداع وتنميته عند الطّفل:

كان رسول الله ﷺ يجالس الصّغار اللامعين، يريد أن ينمّي فيهم صفة الإبداع، ويسألهم ما يوسّع أفق تفكيرهم. فعَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: "بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ جُلُوسٌ إِذَا أُتِيَ بِجُمَّارِ نَخْلَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ لَمَا بَرَكَتُهُ كَبَرَكَةِ الْمُسْلِمِ» فَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَعْنِي النَّخْلَةَ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَقُولَ: هِيَ النَّخْلَةُ يَا رَسُولَ اللهِ، ثُمَّ التَفَتُّ فَإِذَا أَنَا عَاشِرُ عَشَرَةٍ أَنَا أَحْدَثُهُمْ فَسَكَتُّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هِيَ النَّخْلَةُ»"[5].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أصغرهم سنًّا، يخالط الكبار ويصغي إلى أحاديثهم، وهكذا كان يفعل عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٤٠.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٤٤٨٢، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا﴾.

(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٩٧٤، كتاب: تفسير القرآن، باب: ﴿وامرأتُهُ حَمّالَةَ الحَطَبِ﴾.

(٤) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي موسى الأشعري، حديث رقم: ٦٠٩٩، كتاب: الأدب، باب: الصبر على الأذى.

(٥) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمر، حديث رقم: ٥٤٤٤، كتاب: الأطعمة، باب: أكل الجمّار.

وقد أظهرت الدّراسات أنّ أغلب المبدعين والمشاهير في العالم-٨٨٪ بالمئة منهم- كانوا يجالسون الكبار ويتعلّمون منهم الحكمة.

وكان يُراعي ﷺ الإبداع عند الشّباب، فهذا زيد بن ثابت ﷺ ، وقد كان غلامًا ذكيًّا فطنًا تبدو عليه علامات النّبوغ، وكان عمره إحدى عشرة سنة حين قدم النّبيّ ﷺ إلى المدينة، فتأمّل كيف تعامل ﷺ مع قدراته الإبداعيّة! قَالَ زَيْدٌ: "ذُهِبَ بِي إِلَى النّبيّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ الله عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النّبيّ ﷺ، وَقَالَ: ﴿يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَالله مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي﴾ قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ" [1].

فالنّبيّ ﷺ أعجبه نباهة زيد وذكاءه وفطنته، فوجّهه لتعلّم لغة اليهود، كي يتكلّم ويُراسلهم بلغتهم، ثمّ أمره أن يتعلّم لغة ثالثة وهكذا... حتّى تعلّم سبع عشرة لغة، وأصبح كاتب النّبيّ ﷺ إلى القبائل.

في السّلوك

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

- ورد في السُنّة النّبويّة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: "كُنَّا مَعَ النّبيّ ﷺ فِي حَلْقَةٍ وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ تَشَهَّدَ وَدَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، فَقَالَ النّبيّ ﷺ: ﴿لَقَدْ دَعَا بِاسْمِ الله الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى﴾[2]"، لذلك ذهب جماعة من أهل العلم أنّ اسم الله البديع أو بديع السّماوات والأرض، هو اسم الله الأعظم لتجلّي الكثير من الصّفات الرّبانيّة فيه.
- الدّعوات العشر: اللَّهُمَّ إِنَّكَ ناظِرٌ إِلَيَّ، حاضِرٌ لَدَيَّ، قادِرٌ عَلَيَّ، أَحَطْتَ بي عِلْمًا وسَمْعًا وبَصَرًا، فارزُقْني أُنسًا بك، وهَيْبَةً منك فقَوِّ فيكَ يَقيني، وبكَ اعْتَصَمْتُ فأَصْلِحْ لي في ديني، وعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ فَارْزُقْني ما يَكْفيني، وبِكَ لُذْتُ فَنَجِّني مِمّا يُؤْذيني، أَنْتَ حَسْبي وَنِعْمَ الوَكيل.

(١) رواه أحمد في مسنده، عن زيد بن ثابت، حديث رقم: ٢١٦١٨، مسند: الأنصار، مسند: حديث زيد بن ثابت عن النّبيّ ﷺ، الحديث صحيح وإسناده حسن.
(٢) رواه الحاكم في المستدرك، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ١٨٦٥، كتاب وباب: الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح، الحديث صحيح.